

## تأثير الأبحاث الميدانية في النظرية الاجتماعية

ناديا إبراهيم حياصات\*

تاريخ الاستلام 2016/4/17

تاريخ القبول 2016/8/18

## ملخص

تهدف الدراسة إلى إظهار مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظريات الاجتماعية، وإيجاد العلاقة الوثيقة ما بين النظرية والبحث الميداني، وكيف باستطاعة بحث ميداني أن يعدّل النظرية أو يدعمها أو يهدمها، وبذلك تبرز قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية الاجتماعية لمعالجة الثغرات في بعض جوانبها وتدعيم الجوانب الأخرى.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج مهمة؛ أبرزها أنّ الأبحاث الميدانية تستطيع أن تنتج أو تدعّم أو تعدّل نظرية اجتماعية قائمة، وكذلك تقوم الأبحاث الميدانية بتزويد المنظرين بمعلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل من خلال الأدلة الإمبريقية، ودلت النتائج على وجود علاقة وثيقة تجمع ما بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؛ فكلهما عنصر مهمّ في تراكم المعرفة ونموّ العلم وتطوره. ولذلك لا بدّ من أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً، ومرتبطة بالأدلة الإمبريقية أو النتائج الإحصائية بإطار نظري متماسك، وكذلك ترتبط القضايا التي نقدمها بأدلة ميدانية تعطيها القوة وتزيد من مصداقيتها.

**الكلمات المفتاحية:** البحث الإمبريقي، النظرية الاجتماعية، المجتمع الأبوي، انحراف الأحداث، الأسرة المفككة، الأسرة النواة، الأسرة الممتدة، الانتحار.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

\* قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

## المقدمة:

إن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها صنفان: صنف طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره، وصنف نقلي يأخذ عن وضعه، مثال الصنف الأول العلوم الحكيمة الفلسفية التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعية فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، ومثال الصنف الثاني العلوم النقلية الوضعية، وما نسنده إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال للعقل فيها، مثل: الكتاب، والسنة<sup>(1)</sup>.

ويعد علم الاجتماع جزءاً من المعرفة الإنسانية، ويحاول العاملون فيه الارتقاء بمستويات المعرفة فيه؛ لتكون عامة شاملة، ولكنه يبقى كجزء من العلوم الاجتماعية؛ علماً أن نتائجه احتمالية، ولقد ظهرت فيه نظريات عديدة، تتباين أحياناً بسبب الاختلافات الأيدولوجية، أو على أساس وحدة التحليل التي يتم اختبارها، أو حسب المتغيرات المسببة لشكل النسق وتبدله، ومن هنا تضمنت أدبيات علم الاجتماع تعريفات عدة للنظرية.

فقد استعرض توماس Thomas Ward سبعةً وعشرين تعريفاً، توصلَ بناءً على ما جاء فيها - إلى تعريف النظرية، بأنها: "نسق منطقي استنباطي استقرائي، يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراسيات، تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة، ويمكن أن يشتمل منها فرضيات، ويمكن التحقق من صحتها أو خطئها، وبهذا تمثل النظرية الاجتماعية وجهاً من أوجه المعرفة العلمية التي يتم بناؤها على أسس منهجية منظمة، تشمل توخي الجانبين الإمبريقي والمنطقي، وتمثل النظرية الاجتماعية حقيقة الواقع الاجتماعي ومكوناته، وما بين هذه من علاقات مسببة أو ارتباطية في محاولة لتفسير كل هذه، وكيفية تبدلها وتطورها، ومعرفة أسباب وظروف هذه التغيرات، مع إمكان التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه المجتمع أو أجزاء منه مستقبلاً، وحتى يتم الإلمام بما تم وصفه؛ يجب أن يخضع للبحث والدراسة الميدانية، ويعرف البحث الميداني (الإمبريقي) بأنه ذلك النوع من البحوث التي تم إجراؤها بدافع طبيعي وغير متكلف بواسطة مشاركة الباحث الفعلية (الملاحظة بالمشاركة) لجميع وقائع السلوك في الحقل دون أي نوع من الضبط المسبق<sup>(2)</sup>.

فالبحت الميداني بكل اختصار، هو دراسة الواقع كما هو بطبيعته، وبذلك تبرز العلاقة ما بين البحث الميداني والنظرية الاجتماعية، وذلك من خلال التركيز على الارتباط الوثيق بين النظرية والبحث الإمبريقي؛ فكلهما أساسي في تراكم المعرفة ونمو العلم وتطوره، ومن خلال ما يقدمه البحث الإمبريقي من أدلة تتضمن الإحصائيات والعلاقات والمعلومات التي يشار إليها عادةً بالنتائج التي تدعم التفسيرات النظرية وتؤكددها، وتدعم مفاهيم النظرية وتزيدها وضوحاً أو تقلل من أهميتها<sup>(3)</sup>.

### أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من خلال إظهار مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظرية الاجتماعية، ويكمن ذلك في إيجاد العلاقة الوثيقة بين النظرية والبحث الميداني، وكيف استطاع البحث الميداني أن يعد النظرية أو يدعمها أو حتى يهدمها، وبذلك تبرز قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية الاجتماعية؛ لتعديل الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى، كما أنه من الضروري أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً، وبذلك ترتبط الأدلة الإمبريقية أو النتائج بإطار نظري متماسك، كذلك ترتبط القضايا التي نقدمها بأدلة ميدانية تعطيها القوة وتزيد من مصداقيتها.

### مشكلة الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لإبراز مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظرية الاجتماعية، فالمبدأ الذي يأخذه علماء الاجتماع أن هناك ترابطاً وعلاقات تبادلية بين النظرية والبحث الإمبريقي، وكان معظم الاهتمام في بيان دور النظرية في البحوث الميدانية، في حين ستظهر الدراسة العلاقة الوثيقة بين النظرية والبحث الميداني، وأن هناك تباعداً أو اتفاقاً بين صياغة النظرية والبحث الإمبريقي، واكتشاف العلاقات وتقديم الأدلة على وجودها، وأن مثل هذه الانقسامات تؤدي إلى إيجاد ثغرات ونقاط ضعف في كل من النظرية والبحث الإمبريقي، وإظهار مدى الأهمية في أن ترتبط النظرية بأدلة ميدانية تعطيها دعماً وقوة ومصداقية، وفي هذه الدراسة تظهر ضرورة توجيه الدراسات الميدانية نظرياً؛ أي حسب حاجة النظرية الاجتماعية، بما يؤدي إلى معالجة الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى، كما يجب أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً.

### أهداف الدراسة:

- 1- التعرف إلى العلاقة ما بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية.
- 2- التعرف إلى دور الأبحاث الميدانية في خدمة النظرية الاجتماعية.
- 3- التعرف إلى مدى إسهام الأبحاث الميدانية في تعديل نظريات عامة.

### منهجية الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كيفياً، ويبيّن خصائصها، وتحديد النتائج من خلال الوثائق والحقائق والدراسات المدعومة إمبريقياً.

### تساؤلات الدراسة:

- 1- ما العلاقة التي تجمع بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؟
- 2- ما دور الأبحاث الميدانية في خدمة النظرية الاجتماعية؟
- 3- هل أسهمت قائمة الأبحاث الميدانية في تعديل نظريات؟

### الدراسات السابقة:

الواقع الذي نعيشه فيه العديد من أوجه المعرفة الإنسانية والحقائق والأحداث التي يتطرق إليها الإنسان ويتعامل معها كجزء من حقيقة، لكن لا بد أن تستند هذه الحقائق إلى أسس علمية وأدلة مقنعة، ومن هنا تظهر لنا العديد من الدراسات السابقة التي سوف نتطرق إليها فيما يأتي، مدى قدرة البحث الميداني على تغيير أو هدم أو دعم حقائق منتشرة في حياتنا، وذلك من خلال الأدلة المدعومة إمبريقياً، وبذلك تبرز لدينا قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية، ومعالجة ثغراتها، ومدى الترابط بينهما في خدمة العلم والمعرفة :

دراسة حطيم (2012) بعنوان (السلطة الأبوية في الأسرة) هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مدى التغيرات التي طرأت في السلطة الأبوية في المجتمع العراقي مع تقدم وسائل الاتصال الحديثة والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، وتم استخدام المنهج التاريخي والمنهج التحليلي للوصول إلى الأحداث الماضية وحقائق المستقبل وتحليلها.

وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن عمل المرأة خارج المنزل وتمكينها الاقتصادي وتعليمها قلل من سلطة الأب عليها، وأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة تشاركية، حيث تم إعطاؤها قدراً واسعاً من القدرة على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية، وهناك عوامل أخرى قللت من السلطة الأبوية لصالح الزوجة والأبناء، هي وسائل الإعلام والتعليم والتكنولوجيا وحصول المرأة على مردود مادي؛ التمكين الاقتصادي الذي جعلها تتشارك مع زوجها في اتخاذ القرار بشأن أطفالها وأمورها العائلية الأخرى.

دراسة عنصر (2008) بعنوان (آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة للأسرة العربية) وهدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على الجوانب التي شهدتها الأسرة العربية، والتهديدات للنظام الأبوي القائم، وتم استخدام المنهج الاستطلاعي للتعرف إلى الآراء المختلفة حول الأسرة العربية، وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الأسرة العربية تحمل ثلاثة اعتبارات تبرز من خلالها التهديدات الموجهة إلى النظام الأبوي القائم، وأهمها:

- 1- حصول الأبناء على قدر من التعليم واكتساب المهارات التي تسمح لهم بالالتحاق بالوظائف وتحقيق قدر من الاستقلالية، ومن ثم الخروج من التبعية والولاء الكامل لسلطة الأب.
- 2- تجسيد الأسرة نمطاً جديداً من العلاقات المفتوحة المرنة التي تتمثل في الاستقلالية الاقتصادية، وانتشار التعليم، وخروج المرأة للعمل، واندماج الأبناء في المجتمع المفتوح وسوق العمل، كل ذلك سبب ارتجاجاً في قاعدة النظام الأبوي.
- 3- لعل خروج المرأة للتعليم والعمل وانخراطها فيه وتقلدها المناصب المختلفة وانتشار التكنولوجيا ووسائل الإعلام، كل هذه العوامل تعدّ ضربة فأس لتفكيك النظام الأبوي.

من الواضح أنّ هذه النتائج التي توصلت إليها الدراستان، دحضت النظرية القديمة السائدة واحتلت مساحة واسعة في عقول المفكرين الذين دافعوا عنها وأعدوا لها العديد من المؤلفات والكتب، حيث تمّ تقديم تفسيرات جديدة للموضوع، أكدت أنّ الأسرة العربية ليست أسرة أبوية تماماً، وإنما هناك درجة ملحوظة من مشاركة الزوجات في السلطة الأسرية لأزواجهن، وهناك العديد من الآراء التي تتوافق مع نتائج الدراسة التي تم التوصل فيها إلى أنّ السلطة الأبوية في طريقها إلى التلاشي من خلال منشورة القدس بعنوان: "النظام الأبوي والعقل المجتمعي للذكرى الأولى لوفاة هشام شرابي"، يوضّح أنّ تقلص السلطة الأبوية وتراجعها يرتبطان باكتساب الأعضاء؛ أي الزوجة والأولاد، مزيداً من الحرية والاستقلالية، وظهور لهم الرغبات والحاجات والإرادة المستقلة لهم. وحدد شرابي التهديدات للنظام الأبوي الجديد، وهي: التحولات الاقتصادية، وحصول الأبناء على قدر من التعليم، واكتساب مهارات التوظيف، وخروج المرأة للعمل، ومهدت هذه العوامل للتخلص من النظام الأبوي القائم<sup>(4)</sup>.

ويوضح مصطفى حجازي جذور هذه الظاهرة، فيرجعها إلى تعرض الطفل لتأثير الأم الجاهلة التي تشغل مكانة متدنية في أسر الطبقات الفقيرة بشكل خاص، وتعيش في إطار من المفاهيم الخرافية والمعتقدات غير العلمية، مثل: الجن، والشعوذة، والحجب، والشياطين، والغيلان، والعين الحسودة. وهي تنقل هذه المفاهيم والأفكار إلى طفلها وتؤكد له أنها هي سبب حدوث الظواهر، والأحداث، وما يصيبه من خير أو شر، فيتشكل عقل الطفل أوّل ما يتشكل من هذه المفاهيم والأفكار التي تغرس عميقاً في عقله، يدعمها أيضاً ما يلقن في المدارس الابتدائية من خلال اللغة الكلاسيكية، فتغشى تفكيره، وتجعله يرى العالم والناس من حوله، ويفسر كل ذلك باستخدام هذه الأفكار والمفاهيم المغلوطة، ويدعم ذلك أيضاً الإطار المجتمعي العام الذي يحيط بالطفل، وخاصةً في البيئات الفقيرة، والذي يشتمل على: الجيران، وبعض الأقارب والجماعات التقليدية غير العلمية المنتشرة في المجتمع.

كل هذه النتائج الإحصائية والملاحظات والتحليلات تؤكد أن الأسرة الأبوية لا تزال سائدة في الطبقات الفقيرة؛ لكنها غير سائدة في الطبقات الميسورة من وجهة نظره. كما أن مصدر الثغرات الموجودة في بنية شخصية الإنسان، وقلة مشاركته في المجتمع لا تعود فقط إلى الأبوية السائدة في الأسرة أو في المجتمع، وبخاصة بين الطبقات الفقيرة، وإنما تعود إلى اللغة الكلاسيكية المستخدمة في التعليم ومضمونها التقليدي، وتعود أيضاً إلى نظام التعليم نفسه، وأساليب التربية في الطفولة، ومضمون هذه التربية من أفكار ومفاهيم خرافية وممارسات تسلطية تسود في أسر الطبقات الفقيرة بشكل خاص<sup>(5)</sup>.

**دراسة رطوط (2015) بعنوان (الأحداث بين النظرية والتطبيق)** تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى أسباب جنوح الأحداث في الأردن، وتم استخدام المنهج الاجتماعي في العينة على عدد من مراكز الأحداث المنتشرة في المملكة، وأهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن 80% من الأحداث الجانحين في الأردن يأتون من أسر غير مفككة، حيث يوجد الأم والأب داخل الأسرة، و20% من الأحداث الجانحين يأتون من الأسر المفككة؛ التي تعاني من غياب أحد الوالدين: الأم أو الأب، بسبب الطلاق أو الموت أو الانفصال الخ. وفي هذه الدراسة التي قامت بها وزارة التنمية من خلال مراكز الأحداث المنتشرة في المملكة التابعة للوزارة تبين أن السبب الرئيس وراء انحراف الأحداث في الأردن ليس التفكك الأسري، كما هو شائع ومنتشر بين فئات المجتمع والباحثين، بل هو طبيعية العلاقات العائلية بين الأحداث المنحرفين وأسرههم، حيث تسود المشاحنات والخلافات والتوترات بينهم، وتبقى العلاقة القائمة علاقة مضطربة متوترة بين الأبناء والعائلة. وهناك أسباب أخرى وراء انحراف الأحداث، لعل من أهمها المستوى المعيشي المتدني (الفقر).

**دراسة (2012) Banham بعنوان (العوامل التي تسهم في جنوح الأحداث)**، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى أهم الأسباب وراء جنوح الأحداث، وتم اعتماد النتائج التالية من التقارير، وهي: أن السبب وراء انحرافهم هو الوضع الاقتصادي المتدني، ومن ثم العوامل النفسية بنسبة 10%، ومن ثم الظروف البيئية المحيطة ورفاق السوء.

**دراسة ديفز وميتابوليس 2013 بعنوان (انحراف الأحداث)**، وتم استخدام العينة القصدية في المؤسسات العقابية، ومنازل الاعتقال في الولايات المتحدة على تسعة آلاف حدث منحرف في منطقة شيكاغو، حيث أثبتت التقارير بعد الدراسة أن الأحداث المنحرفين يعانون من اضطرابات نفسية في علاقاتهم مع أسرهم والمحيطين بهم، وهناك عوامل أخرى لها الدور الأكبر، منها: الفقر بنسبة 55%، والمخدرات، وانتشار الانحراف، وغياب الرقابة من الأهل.

دراسة هينس (2013 H.T) بعنوان (منع الجريمة) - دراسة الأسباب (مجلس ولاية أوهايو لأدميرال). تهدف هذه الدراسة إلى رصد ارتفاع معدلات الجريمة لدى الشباب في أوروبا، وأن أكثر من 30% من الجرائم الجنائية في أوروبا تتعلق بشرب الكحول، وتعاطي المخدرات وجرائم الجنس، وأن 80% من جرائم العنف لا يتم التبليغ عنها ضمن أعمار 16-19، والرجال أكثر عرضة للانحراف من النساء، ومن أكثر الجرائم انتشاراً: السرقة والسطو والاعتصاب، ولعل ضعف الرقابة من قبل الأهل لأبنائهم وسوء التنشئة الاجتماعية، وفساد الأخلاق أسباب متراكمة لزيادة نسبة الجريمة.

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات الإمبريقية تظهر قدرة الأبحاث على إدخال تعديلات مهمة وأساسية في النظريات الاجتماعية القديمة مؤديةً بذلك إلى تجديد مفاهيم ومقولات هذه النظريات في تقديمها للتفسيرات النظرية الجديدة، فالاعتقاد السائد أن السبب الرئيسي لانحراف الأحداث هو تفكك الأسرة، سواء في العالم العربي والغربي؛ لكن الدراسات الميدانية تثبت بطلان هذه النظرية السائدة وتعطينا تفسيرات نظرية جديدة مدعومة بالإحصائيات الإمبريقية، وتؤكد أن السبب الرئيس وراء انحراف الأحداث ليس التفكك الأسري، كما هو شائع ومعتقد بين الكثير من الناس والدارسين، بل اضطراب العلاقات الأسرية بين المنحرف وأسرته، والتوترات والمشاحنات القائمة في الأسرة، وكذلك عوامل أخرى مساندة، منها: الفقر، والبطالة، وغياب الأهل والرقابة والإهمال من الأسرة.

فكثير من الاعتقادات السائدة والأفكار الشائعة بين فئات المجتمع تستطيع الدراسات والأبحاث تعديلها أو دعمها، وهذا يؤكد أهمية الأبحاث في تعديل أو هدم نظرية قائمة.

## الإطار النظري

### 1- مفهوم النظرية الاجتماعية:

استفاد علماء الاجتماع في بناء المعرفة والمناهج بما كان من تراكم المعارف في العلوم الأخرى والفلسفة، ونظراً لاختلاف هذه المصادر وتوجهات علماء الاجتماع وأيدولوجياتهم، طور علماء الاجتماع نظريات عديدة، تضمنت أوجه من التشابه والاختلاف. ويبقى السؤال، ماذا عن النظرية لعلماء الاجتماع؟

تضمنت أدبيات علم الاجتماع تعريفات عدة للنظرية، فقد استعرض توماس ورد Thomas Ward سبعةً وعشرين تعريفاً، توصل بناءً على ما جاء فيها إلى تعريف النظرية، بأنها: "نسق منطقي استنباطي استقرائي، يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات، تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة، يمكن أن يشتق منها فرضيات، ويمكن التحقق من صحتها أو خطئها، ويتضمن هذا التعريف إضافة إلى تحديد معنى النظرية، أهم أوجه بناء المعرفة النظرية الممثلة هنا

في عمليتي الاستقراء أو الاستنباط والقياس. فالمعرفة يمكن أن تبدأ بالموجود من الأجزاء التي تشكل قاعدة للتعميم، وقد يعتمد الباحث على معرفة موجودة سلفاً؛ ليستنبط منه افتراضات أو فرضيات أو تعميمات أخرى.

أما تالكوت بارسونز Talcott Parsons فقد قال بأن النسق النظري، بالمفهوم الحديث، يشكل وحدة للمفاهيم مترابطة متساندة منطقياً وبنائياً، لها مرجعية إمبريقية في الواقع، تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة، أو تعليمات تعبر عن انتظامات إمبريقية.

وقد ركز جورج هومانز G. Homans في تعريفه للنظرية على أنواع المفاهيم في البناء النظري، وبهذا عرف النظرية، بأنها: "مجموعة من المفاهيم التي تتشكل من خلال العلاقات بينها من منظور قريب للواقع الاجتماعي، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون، والبعض الآخر تحليلي، تشير المفاهيم فيه إلى سمات وخصائصه، وتتألف النظرية من مجموعة افتراضات، يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر، بحيث تشكل هذه الافتراضات معاً نسقاً قابلاً للاستنباط، وبحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها إمبريقياً<sup>(6)</sup>.

يرى جوناثان تيرنر Jonathan Turner أن النظرية نشاط عقلي، فهي عملية تطوير أفكار تسمح للعالم بتفسير الأحداث، ويتم بناء النظرية على أساس عناصر أساسية ومركبات تشمل المفاهيم، والمتغيرات، والمقولات، ويقول تيرنر بأنه مهما اختلفت تعريفات النظرية، فإنها لا بد أن تتضمن هذه المكونات الأربعة<sup>(7)</sup>.

ورد في قاموس علم الاجتماع الذي حرره مارشال Marshall مواقف ثلاثة برزت في تعريفات النظرية في علم الاجتماع، هي:

1- موقف الذين يرون أن النظرية الاجتماعية تتكون من تعميمات وتصنيفات للواقع الاجتماعي، وأن هذه التعميمات تتباين من حيث المدى والمستوى فتتراوح بين التعميمات الإمبريقية المحدودة، وبين أخرى تشمل المجتمع الإنساني.

2- يؤكد البعض - وخاصة ممن ينتمون إلى الفلسفة الوضعية - أن النظرية لا بد أن ترتبط بالواقع الإمبريقي الذي يمكن ملاحظته، وأن تكون قابلة للخضوع إلى الاختبار الإمبريقي بشكل منتظم.

3- فريق ثالث يركز على الوظيفة التفسيرية للنظرية، وذلك ببيان السببية بوضوح لواقع يمكن ملاحظة مكوناته مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة بناء على النتائج الدالة على وجودها.



وعلى الرغم من التباين بين علماء الاجتماع في معنى النظرية، أو حتى في إمكان وجودها، إلا أن هناك تعريفاً يتكون من أجزاء سبعة، يمثل معنى النظرية في علم الاجتماع.

- 1- تشكل النظرية نسقاً معرفياً منظماً ومنطقياً.
- 2- يتضمن هذا النسق تصوراً للواقع الذي يتناوله.
- 3- ويتكوّن من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافتراسات.
- 4- يوضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة.
- 5- يوضح أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله.
- 6- يشمل بعداً إمبريقياً، يتضمن مكونات الواقع ومعطياته.
- 7- يقصد تفسير هذا الواقع وفهمه، وإمكانية التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلاً<sup>(8)</sup>.

#### النظرية الوظيفية والبنائية الوظيفية:

**مفهوم الوظيفة:** قد جاء أصلاً من علم الأحياء تمّ بما تمّ تحقيقه في دراسة التنظيمات كالقول بوظيفة الإدارة، فأصبحت الوظيفة كمثال مرتبط بتحليل الوقائع الاجتماعية من حيث تفسير وجودها وتطورها ويفترض الاتجاه الوظيفي ترابط الأجزاء وتكاملها وظيفياً، وتحديد كل جزء من النسق ليؤدي وظيفة أو أكثر لتتكامّل هذا الأجزاء وظيفياً في تلبية حاجات النسق ومن يشملهم عن الواقع، وبهذا ينظر الوظيفيون إلى التغيير كعملية تدريجية تتمثل في تغيير النسق في حالة توازن إلى حالة توازن جديدة، فكل يتضمن بناءً ثابتاً نسبياً ويتضمن وسائل التنظيم الذاتي.

وتتطلب حالة التوازن والاستقرار نوعاً من الإجماع حول الأهداف العامة ووسائل تحقيقها، فيعمل كل مجتمع على مأسسة هذه الأهداف، بحيث يصبح تمثيلها من قبل الأفراد من معايير تقييم السلوك، ويتضمن معنى الإجماع وجود قاعدة ثقافية مشتركة تعمل على تماثل المعتقدات والتوجهات، ويتحقق هذا على مستوى الأفراد من خلال عوامل الضبط ووجود نظام الثواب والعقاب، ولقد ظهر هذا الافتراض على سبيل المثال في كتابات وليام William، حيث قال إن المجتمع الأمريكي يقوم على قاعدة حتمية مشتركة، تضمنت السيطرة على الطبيعة والعالم، إضافة إلى مشاركة أعضاء المجتمع - قيم النجاح والعمل والكفاءة والديمقراطية والبراغماتية والتقدم والمساواة والحرية والامتثال والعقلانية والفردية<sup>(9)</sup>.

وتضمنت الوظيفة عدة معان، هي:

- 1- نشاط؛ أي نشاط جماعي كالطقوس.
  - 2- معنى حابي رياضي، مثل: مفهوم النمو السكاني نتيجة وظيفة معدلات الولادة والوفاة.
  - 3- دور مهني ويشير إلى وظيفة محددة كالمعلم.
  - 4- وأخيراً المعنى الشائع في الاستخدامات العلمية ويشير إلى النشاطات المناسبة، وما تلعبه في استمرارية النسق وتكيفه.
- \* ومنها ما جاء على يد مارك أبراهامسون Abrahamson Mark، حيث صنّفها إلى:

- 1- الوظيفة الفردية.
  - 2- الوظيفة العلائقية البنائية.
  - 3- الوظيفة الاجتماعية<sup>(10)</sup>.
- وصنّف كانيكان Canican الوظيفة إلى:

- 1- الاتجاه التقليدي ويفترض أنّ البناءات الاجتماعية تعمل من أجل حياته، واستمرارها يعمل من أجل صيانة واستمرار التنسيق (System).
- 2- الاتجاه السيوسولوجي، وبحث في العلاقات المحددة بين المتغيرات الاجتماعية.
- 3- الاتجاه السبرنطقي، ويفترض أنّ كل نسق اجتماعي (Social System)، له آليات تعيده من حالة التوتر والتغير إلى حالة التوازن وهو تحريم ذبح البقر وأكلها في الثقافة الهندية؛ فالتحريم ليس ترفاً بل ينسجم مع حاجات الإنسان والبيئة<sup>(11)</sup>.

وارتبطت البنائية الوظيفية في العقد الثالث من القرن العشرين بكتابات بارسونز أساساً ثم ميرتون، ولم يقتصر دور بارسونز على ما قدمه من أفكار، وإنما قام بتعديلات في البنائية الوظيفية، وأدى ذلك إلى ظهور اتجاهات نظرية جديدة؛ كالتبادلية، ومنهجية الجماعة.

لقد كانت غاية بارسونز بناء نظرية تقوم على تراكمات من معرفة في علم الاجتماع وخاصة ما جاء في كتابات دوركايم، وباريتو، وتجربته شملت بناء نظرية الفعل الاجتماعي، وانتقل في الثانية إلى النسق الاجتماعي.

وعدّ أن الفعل الاجتماعي وحدة التحليل الأساسية في أي نسق اجتماعي، وصنّف الفعل إلى:

- 1- الفعل الاجتماعي الوسيلى 2- الفعل الاجتماعي التعبيري 3- الفعل الاجتماعي القيمي<sup>(12)</sup>.

وتحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفعل الاجتماعي والفاعل، إلى التركيز على الدور والمكانة؛ لأنهما أساس تحليل التنسيق.

ويميل النسق إلى المحافظة على الحدود وعلاقات الأجزاء بالكل وفيما بينهما، وضبط التغيرات في البيئة وضبط الميل للضمير<sup>(13)</sup>.

والمتطلبات والحاجات الوظيفية فبقاء النظام في النسق الاجتماعي واستمراره بمتطلبات وظيفة لا بد من توفرها، هي:

- 1- الحاجة الوظيفية للتكيف Adapation.
- 2- الحاجة الوظيفية لتحقيق الأهداف Goal Attainment.
- 3- الحاجة الوظيفية للتكامل Integration.
- 4- الحاجة الوظيفية لصيانة الأنماط القائمة وإدارة التوترات، وأن النسق الاجتماعي في رأي بارسونز يتكون من أربعة أنساق:

- 1) النسق الثقافي، ويشمل معتقدات والمعرفة والقيم والمعايير وغيرها.
- 2) النسق الاجتماعي، ويمثل البناء الاجتماعي، ومكوناته وما فيها من علاقات نمطية النسق الاجتماعي.
- 3) النسق الشخصي، ويسهم في الشق الثقافي والاجتماعي في تشكيل النسق الشخصي.
- 4) النسق العضوي، امتلاك القدرات، والاستعدادات الفطرية.

وبهذا يصبح المفهوم المركب للدور والمكانة أداة معرفية تحليلية لكل من هذه الأنساق الفرعية، وفي الوقت نفسه أداة لدراسة وتحليل العلاقات بينهما.

ويرى ميرتون أن النظرية يجب أن ترتبط بالواقع الإمبريقي، ليس فقط في بنائها، وإنما في إمكانية التحقق من صحتها ودرقتها<sup>(14)</sup>.

والجدير بالذكر هنا ما يسمّى بالوظيفية الجديدة، وهذا المصطلح يشير إلى الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في إعادة بناء الوظيفة على المستويين؛ النظري، والإمبريقي، وقد جاءت هذه المحاولات التجديدية نتيجة تطور المعرفة في علم الاجتماع، واستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية، ويرى ألكسندر أن الأعمال في الحياة الاجتماعية، يحدها من جهة النظريات الشاملة التأميلية والميتافيزيقية، ويقابلها في الجهة الأخرى الأعمال الميدانية والإمبريقية ويتطلب تطوير نظرية اجتماعية علمية تجمع بين الجانبين؛ النظري، والإمبريقي<sup>(15)</sup>.

ومن الجهة الأخرى، ذهب الموظفون إلى توليف اتجاهات الصراع والاتجاهات الوظيفية، باقتراض علاقات التكامل والصراع، وبتناول البعد الموضوعي والذاتي وجهين لحقيقة الواقع الاجتماعي، وإن هذا الواقع يدخل في تشكيله وتطوره عوامل مادية اقتصادية، وأخرى سياسية واجتماعية وثقافية. فالتفسير المادي ضروري، ولكنه غير كاف؛ وكذلك الأمر بالنسبة للتفسيرات المثالية التي تقصر حقيقة الواقع على المعنى.

ومن أمثلة الاستجابة لمثل هذه الانتقادات ما طوره سميلر Smeler من برامج أطلق عليها نظرية التباين؛ أي الأخذ بوظيفة النظم والأدوار العامة، وذلك بالتركيز على وظائف خاصة للوحدات الاجتماعية وتقسيم دورها الوظيفي، فعندما تفشل هذه في تحقيق متطلبات الوظيفة، فإن هذا يؤدي إلى ظهور التناقض والتباين<sup>(16)</sup>.

### نظرية الصراع:

وكان التركيز لدى الصراعيين على علاقات التناقض واللامساواة والصراع، وهم يختلفون حول العامل الأساسي، كما يختلفون في نظراتهم إلى النتائج التي يمكن أن تترتب على عملية الصراع، فماركس يرى أن علاقات الإنتاج تتضمن لامساواة في الملكية، تشكل أساس اللامساواة والاستغلال واحتمال الصراع، وبهذا يجعل من التوزيع غير العادل في عملية الإنتاج أساساً للصراع الطبقي.

ويرى ماركس أن الصراع الطبقي مسألة حتمية تاريخية، ما دام هناك لا مساواة في الملكية وأن نتيجة الصراع تمثل تطوراً إلى الأفضل، وأما زيمل وكوزر من بعده، فقد رأوا أن الصراع يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية، في حين أن آخرين اعتبروا الصراع عملية مخلة بالنظام، وقد تناول ابن خلدون الصراع بين التجمعات العصبية، التي أدت مع التغير في سبل العيش إلى قيام الدولة وفي إطار الدول يظهر الصراع كما حدث في الدولة الإسلامية بين شعوبها من ناحية، وبين البدو المستقرين من ريفيين وحضر من جهة أخرى، وتلعب العصبية دوراً مهماً كمصدر للقوة، وكان الواقع الاجتماعي وطنياً وعالمياً قد شهد بروز مشكلات كبرى كالتمييز العنصري، والتمييز ضد المرأة، وزيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء، وظهور حركات تنادي بتغيير الواقع، مثل: الحركات الشبابية والنسائية.

وأما سي رايت ميلز ركز على قوة النخب The power Elite في اللامساواة في توزيع القوة والثروة، مؤكداً التناقض بين مصالح مجموعة النخبة، وما تحمله من عقائد مقابل المصالح الشعبية وتوجهاتها، فتشكل النخب الاقتصادية والسياسة والعسكرية صاحبة القرار مجموعات متداخلة المصالح لها وضع طبقي<sup>(17)</sup>. (2000 mills)

وكذلك ميكافيلي اهتم بالصراع السياسي في كتابه "الأمير والخطاب" خاصةً بين المتطلعين للحكم وبين الحاكم والشعب، أما هوبس Hobbes فقد ربط مبدأ الصراع بالطبيعة الإنسانية، وخاصة في الحالة الطبيعية؛ فالإنسان أناني بطبعه، ولنظرية داروين أثرها البالغ في ترسيخ مفهوم الصراع بمعناه العام، وتضمن المفهوم لديه الاختيار الطبيعي والبقاء للأصلح، حيث تم تصنيف الصراع بالنسق الاجتماعي في جانين متداخلين:

- 1- الصراعات الداخلية، مثل: صراعات الجماعات، مثل: الجماعات العرقية والاثنية والدينية والطبقية، وأحياناً الصراعات على مستوى الأفراد، وما بين الفرد والجماعة.
- 2- الصراعات الخارجية وشملت الصراع بين المجتمعات والتكتلات الدولية، وتمثلت الغزو والحروب والصراعات الثقافية والأيدلوجية<sup>(18)</sup>.

ومفهوم الصراع من المفاهيم التاريخية القديمة، وتعددت المصادر المعرفية لنظرية الصراع الحديثة المعاصرة، ويمكن اعتبار هذا التباين في المصادر المعرفية أحد أسباب التباين بين مفكري الصراع المحدثين والمعاصرين .

ويرى ماركس في تناوله المادي للتاريخ الاجتماعي أن الوجود يقرر مستويات الوعي، مما يجعل القاعدة الاقتصادية في قوى الإنتاج وعلاقاته أساساً لتشكل نمط الإنتاج، وتمثل العلاقة الجدلية في علاقة البنية التحتية Infrastructure بالبنية الفوقية Super Structure. حيث تشمل هذه الأخيرة النظم السياسية والتشريعية والمعرفية والأفكار، فينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة مالكة، وأخرى غير مالكة تعمل بأجر<sup>(19)</sup>.

ويؤمن ماركس بأهمية العامل الاقتصادي في تشكيل وتطور الرأسمالية، ولكنه يعطي القيم والأفكار مكانة ودوراً أساسياً ومستقلاً في جمهور الرأسمالية، ويرى أن البروتستنتية وخاصة الكلفانية، كحركات إصلاح ديني تضمنت قيماً جديدة، عززت أهمية العمل الجاد وأخلاقياته، وساعدت هذه القيم على تعظيم قيمة العمل.

بينما رأى زيمل إمكانية وجود دور وظيفي لعمليات الصراع، حيث يمكن أن يترتب على وجودها تعزيز النظام والتضامن، كما يمكن أن تتحول عملية الصراع إلى أشكال أخرى من العمليات الاجتماعية، كأن يتحول الصراع عبر الزمن إلى عمليات التنافس أو تعاون<sup>(20)</sup>.

واهتم زيمل بوظائف الصراع من حيث علاقاتها الوظيفية بتعزيز النظام، وكان ثورستين فييلين واحداً من القلة الذين اهتموا بتحليل جذور القوة والصراع في إطار تاريخي، وعلى أساس المصالح المتضاربة في الولايات المتحدة، وقد افترض أن الإنسان يسعى بطبيعته للحصول على الاحترام وتحقيق الاعتبار، مما يجعلهما مع المكانة الاجتماعية مجالات للصراع.

ويعد رالف داندروف أهم رموز نظرية الصراع في كتابه الطبقة والصراع الطبقي في مجتمع صناعي، وقد رأى أن عملية الصراع ترتبط بتطور الوعي والتنظيم، وهي دائمة بدوام اللامساواة في توزيع السلطة، فحل بعض المشكلات والتناقضات يولد دائماً مشكلات وتناقضات جديدة<sup>(21)</sup>.

وعرّف لويس كوزر Lewis Coser الصراع في كتابه الوظائف الاجتماعية للصراع The Functions of Social Conflict بأنه عملية نضال حول القيم أو الموارد النادرة كالقوة والثروة والمكانة، يسعى كل طرف إلى الإضرار والتخلص من الطرف الآخر.

وينظر كوزر إلى المجتمع كوحده نسقية تتكون من أجزاء مترابطة، ولكنه يختلف عن الوظيفيين في قوله بإمكانية اللامساواة أو التباين في البناء الاجتماعي، وبهذا يمكن تجاوز التوترات في العلاقات، وترتبط حدة الصراع عند كوزر بالجانب الوجداني؛ فتأجج العواطف يبعد إمكانية الحلول العقلانية<sup>(22)</sup>.

ويرى كولينز Colins أن دراسة الصراع يجب أن تعتمد على الواقع وأن تتضمن عملية التحليل العلاقات السببية التي يمكن أن تعكس الواقع وتظهر ارتباطات وعلاقات الوحدات فيه، واعتمد كولينز على مصادر مختلفة، أهمها: كتابات فيبر، وماركس، ودوركايم، وبناء على ذلك توصل إلى الافتراضات التالية:

- 1- الإنسان كائن اجتماعي، ولكنه كائن صراعي.
- 2- يوزع النظام الاجتماعي الأفراد حسب المصادر المتاحة لكل منهم.
- 3- تتنافس الجماعات على تملك أكبر قدر مما هو مرغوب فيه.
- 4- يحاول كل فرد تعظيم مكافأته لذاته بما يحصل عليه من الموارد النادرة المرغوب فيها وذات القيمة<sup>(23)</sup>.

## 2- مفهوم البحث الميداني (الإمبريقي):

البحث الميداني: هو ذلك النوع من البحوث التي يتم إجراؤها بدافع طبيعي، وغير متكلف، بواسطة مشاركة الباحث الفعلية (الملاحظة بالمشاركة) لجميع وقائع السلوك في الحقل، دون أي نوع من الضبط المسبق، أو قصر المتغيرات، أو تحديدها دون غيرها.

ويعرف (كيرلنجر) البحث العلمي، بأنه: تساؤلات علمية ارتجالية تهدف إلى اكتشاف العلاقات والتفاعلات ما يتعلق بعلم الاجتماع أو علم النفس، والتقلبات الثقافية في المؤسسات الاجتماعية.

ف (كيرلنجر) يقول بأن: أي دراسة سواء كانت صغيرة أو كبيرة، تهدف إلى معرفة العلاقات، وتقام في حقول معينة، مثل: الجمعيات والمدارس والمصانع والمؤسسات، وتعد دراسة ميدانية.

فالبحث الميداني بكل اختصار: هو دراسة الواقع كما هو بطبيعته.

## 1-2 خصائص البحث الميداني:

يتميز البحث الحقلّي عن غيره من البحوث بعدة خصائص، منها:

- 1- البحث الحقلّي غير خاضع للضبط المسبق، ولا للواقع المتكلف، وإنما يهدف إلى الاستفادة من كل ما يجري في الحقل؛ لأن طبيعته طبيعة كيفية لا كمية.
- 2- تعد مصادر المعلومات مهمة للباحث الذي يستخدم هذا النوع من البحوث سواء، كانت هذه المعلومات من الملاحظة أو المقابلات أو السجلات.
- 3- البحث الحقلّي يعطي صورة كاملة للبيئة المدروسة، قلما يعطيها أي أسلوب بحث آخر.
- 4- يمكن بواسطة هذا النوع من البحوث التوصل إلى نتائج دقيقة وواقعية.
- 5- اكتشاف الظواهر الخفية (سلوكيات عفوية غير مقصودة، ولا موجهة).

ويذكر (موريس زيدك) مثلاً لذلك ما قاله (لورنس) العرب في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) جاء نتيجةً لمعايشته العرب آنذاك: "لم أجد لدى العرب سوى أثرًا ضعيفًا للتعصب الديني في ثورة الحسين بن علي، إذ كان طابعها طابعاً قومياً، والظاهرة الخفية هي: "عدم تعصب المسلمين للمسلمين، وذلك بتحالفهم مع النصارى ضد الأتراك المسلمين".

## نماذج الدراسات الميدانية:

يقسم (كاتز) Kats دراسات الميدان إلى قسمين:

- 1- استكشافي (تمهيدي).
  - 2- فرضي (نظري).
- والنوع الاستكشافي: يهدف إلى دراسة واكتشاف ما هو أفضل من العلاقات التنبؤية؛ ومثال ذلك:

أ- اكتشاف التقلبات المهمة في وضع الميدان.

ب- اكتشاف العلاقات بين هذه التقلبات.

أما النوع الافتراضي: فيهدف إلى تنظيم الفرضيات اللاجئة بناء على النتائج<sup>(24)</sup>.

## أهمية البحث الميداني:

يستخدم أسلوب البحث الميداني، وذلك: لعجز المناهج الأخرى من البحوث عن الوصول إلى قياس دقيق للظواهر الإنسانية؛ ولذلك فإن أسباب البحث الميداني يستخدم للإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماذا يحدث في الميدان؟

يساعد البحث الميداني الباحث على رؤية الأشياء التي لا يستطيع الناس رؤيتها بسبب العرف اليومي الرتيب.

2- ماذا تعني الوقائع التي تستخدم في الحقل بالنسبة للأشخاص ذوي العلاقة بها؟

لا بدّ من إدراك تفصيلات الوقائع وكيفية وقوعها، مثلاً: "لا يمكن وصف المدرس بأنه يدرس، بل لا بدّ من معرفة كيفية أدائه في التدريس".

3- ما المعاني المقصودة من السلوك المختلفة؟

يكشف الباحث في الدراسات الميدانية عن تفسيرات السلوكيات المشاهدة.

4 - هل هناك تناسق بين ما يحدث في الميدان، وما يحدث للبيئة المحيطة به<sup>(25)</sup>؟

نتائج الدراسة ومناقشتها:

الإجابة عن السؤال الأول: ما العلاقة التي تجمع بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؟

العلاقة بين البحث الميداني والنظرية الاجتماعية:

تعرف النظرية بأنها مجموعة من المفاهيم والقضايا التفسيرية التي تفسر ظاهرة معينة، وتساعد من خلال ذلك على التنبؤ بحدوث الظاهرة عند وجود شروطها، أو أسبابها؛ وتمكن المجتمع في التحليل النهائي من ضبط الظاهرة والتحكم بمسارها من خلال سياسات اجتماعية مدروسة أما البحث الإمبريقي فإنه من خلال خطواته وأدواته يقدم الأدلة، وهي: الإحصائيات والعلاقات، والمعلومات، والتي يشار إليها عادة بالنتائج التي تدعم التفسيرات النظرية وتؤكدها، وتدعم المفاهيم النظرية وتزيدها وضوحاً، أو تقلل من أهميتها<sup>(26)</sup>.

وكلما أدت النتائج المكتشفة إلى زعزعة بعض التفسيرات وبعض المفاهيم النظرية، توجهت جهود الباحثين لتقديم مزيد من النتائج حول هذه التفسيرات والمفاهيم. كما أن السياسات الاجتماعية تصل



أيضاً على توجيهه - جهود الباحثين نحو المواضيع التي يتوجه إليها اهتمام المجتمع؛ لما لها من أهمية تطبيقية في الدرجة الأولى، وأهمية نظرية في الدرجة الثانية.

من هنا يبدو الارتباط الوثيق بين النظرية والبحث؛ فكلاهما عنصر أساسي في تراكم المعرفة ونمو العلم وتطوره، ولعل أشهر من حل العلاقة المتبادلة بين البحث الإمبريقي والنظرية الاجتماعية هو العالم روبرت ميرتون الذي يؤكد وجود علاقة وثيقة بين النظرية والبحث الميداني، على الرغم من حدوث انقسام بين النشطين: التنظير؛ أي صياغة النظرية والبحث الإمبريقي، أي اكتشاف العلاقات، وتقديم الأدلة على وجودها. وهو أن مثل هذا الانقسام يؤدي إلى إيجاد ثغرات ونقاط ضعف في كل من نظرية. والبحث الإمبريقي إذ من الضروري أن ترتبط الأدلة الإمبريقية، أو النتائج بإطار نظري متماسك محدد، ومن الضروري أيضاً أن ترتبط القضايا التي عليها بأدلة ميدانية تعطيها قوة، ومصداقية.

ومن الضروري بعد ذلك توجيه الدراسات الميدانية نظرياً؛ أي حسب حاجة النظرية الاجتماعية لما يؤدي إلى معالجة الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى؛ كما أنه من الضروري أن تكون القضايا النظرية مدعمة إمبريقياً. وبناءً على ذلك يقترح ميرتون عدداً من الخطوات المحددة لدمج النظرية والبحث الإمبريقي، كما هو موضح فيما يلي:

- 1- ذكر الفرضيات بشكل واضح في تصميم البحث الإمبريقي، إضافة إلى توضيح التراث النظري الذي استمدت منه هذه الفرضيات.
- 2- عند إتمام اختبار هذه الفرضيات يجب أن تنافس بربطها التراث النظري، وذكر جوانب هذا التراث الذي يدعم من قبل الفرضيات، والجوانب الأخرى التي لا تدعم.
- 3- اشتقاق المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في صياغة الفرضيات من تراث نظري معين، وهو ذلك التراث الذي يرتبط به موضوع البحث.
- 4- التفسيرات النظرية الجديدة التي تقدم نتيجة للأدلة والنتائج الإمبريقية الجديدة، وبخاصة المتعلقة بعلاقات غير متوقعة بين المتغيرات يجب أن تبرر بشكل يؤدي إلى اقتراح تعديلات في نظريات قائمة. ويؤدي إلى مزيد من الأبحاث الإمبريقية المتعمقة لتقديم مزيد من النتائج والأدلة حول هذه العلاقات بين المتغيرات<sup>(27)</sup>.

وخير مثال هاتان الدراسات حول الانتحار في العالم العربي والغربي اللتان تظهر فيهما جلياً قدرة البحث العلمي المدعم إمبريقياً في تقديم نتائج ودلائل حقيقية مغايرة لما هو شائع ومتداول في المجتمع كما في دراسة لمديرية الشرطة (2015) (حول الانتحار) التي تهدف للتعرف إلى أهم الأسباب وراء الانتحار في الأردن، وأكثر الفئات المنتحرة، والأدوات المستخدمة، وتمت

الدراسة على رصد المنتحرين في جميع أقاليم المملكة من عام 2012-2015، والذين بلغ عددهم 837، والنتائج التي توصلت إليها الدراسة، هي أن السبب الرئيسي وراء الانتحار في الأردن هو الفشل والإحباط والاضطرابات النفسية للأشخاص المنتحرين، وأكثر الفئات المنتحرة هي (18-27) سنة، وعدد المنتحرين من الذكور أعلى من الإناث، وأن أكثر الأدوات المستخدمة هي الشنق من قبل الذكور، وشرب الأدوية والمواد الكيماوية من قبل الإناث.

ودراسة Caok.o (2015) بعنوان (منع الانتحار بين النساء الكبار بالسن في آسيا) حيث تمت مقابلة سيدات كبار في السن 65 فما فوق، حاولن الانتحار وقد تعرضن لمشاكل اقتصادية واجتماعية، وعند سؤالهن عن محاولتهن الانتحار ذكرن أن السبب الرئيس؛ هو شعورهن بالاكئاب العالي والقلق، حيث 40% من هؤلاء النساء أثناء مقابلهن كانت لديهن أعراض اكتئاب ما بين المتوسطة والحادة.

وأثبتت الدراسات؛ سواء العربية والغربية أن السبب الرئيسي وراء الانتحار هو الشعور بالإحباط والفشل والاضطرابات النفسية التي يشعر بها الفرد ، وتجعله يلجأ إلى الانتحار كوسيلة للتخلص من المعاناة التي هو فيها، ومن هنا نستطيع أن نرى أن الدراسات والأبحاث تغير حقائق ومعتقدات سائدة وشائعة بين المجتمع، حيث الفكرة السائدة حول السبب الرئيسي للانتحار هو الوضع الاقتصادي؛ سواء كان متدنياً أو مرتفعاً، والبعض الآخر رأى أن البطالة والفقر همت السببان الرئيسان للانتحار في معظم الأحيان؛ لذا جاءت الكثير من الأبحاث الإمبريقية لسد ثغرات النظريات القديمة نحو هدمها وتغييرها إلى نظريات جديدة مدعّمة ميدانياً.

وفيما يتعلق بوظائف البحث في خدمة النظرية الاجتماعية فإن ميرتون يحددها بالوظائف الأربع الرئيسية التالية، وهي:

- 1- إنتاج نظريات جديدة.
- 2- تنقية المفاهيم والمتغيرات.
- 3- إعادة التركيز والتوجيه النظريين.
- 4- تعديل النظريات القائمة.

وس يتم توضيح هذه الوظائف والتعليق عليها بشيء من التفصيل فيما يلي من صفات:

### 1- إنتاج نظريات جديدة:

قد يؤدي أحد البحوث الميدانية إلى اكتشاف علاقة سببية غير متوقعة بين ظاهرتين أو متغيرين، مما يوجه الأبحاث الاجتماعية لمزيد من التركيز على هذه العلاقة بغرض التعمق في

توثيقها. وينتج ذلك حاجة إلى تفسير نظري جديد من خلال مفاهيم ومقولات جديدة بهدف فهم هذه العلاقة، وينتج عن ذلك كله تطوير نظرية جديدة لم تكن موجودة من قبل. ومن الأمثلة التي يقدمها ميرتون على ذلك ما قام به سيجموند فرويد من إيجاد نظرية حول الكبت والأفعال العرضية، بالاعتماد على ما لاحظه من زلات اللسان، أو زلات القلم، وهي تصرفات لاحظها أناس آخرون، لكن فرويد بقدراته النظرية استطاع أن يعطي تفسيراً نظرياً لهذه الملاحظات، واستطاع من خلال ذلك تطوير نظرية الكبت.

## 2- تنقية المفاهيم والمتغيرات:

ترتبط عملية تعريف المفاهيم والمتغيرات بعملية التنظير التي تستخدم هذه المفاهيم بعد تحديد معانيها النظرية والإجرائية، في بناء مقولات تفسيرية للظاهرة الاجتماعية، وتستفيد النظرية من هذه العملية التي تتم من خلال البحث الإمبريقي، إذ يتم تعريف المفهوم نظرياً، وتطوير تعريفات إجرائية له يمكن قياسها وجمع معلومات كمية عنها. كما أن عملية التعريف هذه تمكن الباحث من صياغة فرضيات محددة تخضع للقياس الكمي.

ويدرك الباحث المجرّب أن قياس المفاهيم دون تعريفها إجرائياً عملية تبدو مستحيلة. فمثلاً إذا أراد أحد الباحثين قياس مفهوم (التماسك الداخلي للأسرة) وهو مفهوم نظري وليس إجرائياً، فسيجد صعوبة في ذلك، ولكن حينما يقوم الباحث بتطوير المؤشرات الإجرائية التي تقيس هذا المفهوم على ما يلي: ما درجة تكرار الخلافات بين الزوجين، وما طرق حل الخلافات إن وجدت، وما مدى مشاركة الأبناء الذين يعملون في ميزانية الأسرة، فإنه يجد طريقة قياس المؤشرات أسهل له.

حيث يمكن قياس كل مؤشر من هذه المؤشرات بسهولة عن طريق سؤال الأسرة مباشرة الاسئلة، ثم تجمع الإجابات عن هذه المؤشرات لتقدم لنا تصنيفاً لدرجة التماسك الداخلي في الأسرة، وهي عملية تفني النظرية الاجتماعية، فهي تؤدي إلى تنقية المفاهيم والمتغيرات التي تشكل القضايا النظرية، مما يزيد من قدرتها على التفسير، والتنبؤ والضبط.

## 3- إعادة التركيز والتوجيه النظريين:

يربط ميرتون بين تطوير مناهج وأدوات جديدة لجمع المعلومات، وبين زيادة القدرة على اكتشاف العلاقات السببية الجديدة بما يؤدي إلى إيجاد وتطوير تفسيرات جديدة لها، فمثل هذه العملية تؤدي إلى الوصول إلى معلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وهذا بدوره ينقل بؤرة الاهتمام في النظرية لتقديم مفاهيم وتفسيرات لهذه المعلومات الجديدة. وقد طرأ الكثير من

التطوير والتركيز بالنسبة لنظرية الشخصية والبناء الاجتماعي نتيجة لتطوير مناهج موضوعية مثل اختبار الورشاخ، أو نقطة الحبر، واختيار كتابة القصة.

ولا شك أن الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل وتصنيف البيانات تساعد على تقديم الإحصائيات بشكل يتناسب والنظرية الاجتماعية. ويستطيع الباحث أن يصمم أدوات جمع المعلومات بنفسه للحصول على بيانات إحصائية توقع سلفاً علاقاتها بالنظرية، تقدم لفئات محددة تخضع للمقارنة. وقد تؤدي هذه الإحصائيات التي تجمع بشكل دقيق إلى تعميق تفسيراتنا أو تغييرها فيما يتعلق بعلاقات السلطة داخل الأسرة، والطلاق، والتماسك الأسري الداخلي، والعلاقة بين الجماعات داخل المجتمع. أما الإحصائيات الرسمية، التي تجمع من قبل مؤسسات الحكومة فهي تقدم مؤشرات إحصائية مهمة عن حركة المجتمع وأداء مؤسساته. لكن هذه الإحصائيات ليست مبنية على شكل فئات متميزة بما يسهل قياسها كمياً والمقارنة بينها، وتوثيق العلاقات بينها أيضاً، مما يعيق استخدامها، لإغناء النظرية الاجتماعية<sup>(28)</sup>.

#### 4- تعديل النظريات القائمة:

يؤدي البحث الميداني -كما اتضح من قبل- إلى تعديل، وتدعيم النظريات الاجتماعية القائمة من خلال اكتشاف العلاقات غير المتوقعة. كما تؤدي هذا الدور من خلال إعادة اكتشاف علاقات معروفة، لكنها تعرضت للإهمال والتجاهل لفترة طويلة لعدم ربطها بنظرية معينة.

ولتأكيد أن الأبحاث الميدانية تعمل على تعديل نظريات اجتماعية قائمة، كما في دراسة مجد الدين ودراسة ثناء صالح.

(1) دراسة مجد الدين (1994) بعنوان: (الأسرة والأقارب) وهي دراسة ميدانية على عينة من الأسرة النواة في مدينة عمان. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أنماط العلاقات المعاصرة بين عدد من الأسر النواة وبقية وحدات النسق القرابي، خاصة الأسر الممتدة والحمولة، وكانت العينة (274) أسرة من نواة حضرية من الأسر التي تقطن في مدينة عمان، والعينة عرضية، استخدمت لأغراض المسح الاجتماعي، قدمت بيانات إمبريقية تتعلق بجانبين.

الجانب الأول: تتعلق الخصائص والمميزات البنائية التي تتصف بها الأسر النواة الأردنية المدرسة، وتميزها عن الأسرة الممتدة.

ويوضح لنا الجانب الثاني أن الأسر النواة مثلها في المجتمعات ليست منعزلة أو معزولة اجتماعياً.

وأظهرت الدراسة أن دارسي الأسرة العربية أكدوا أن ظهور الأسرة النواة وانتشارها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحضر والتصنع والسياسات الحكومية خصوصاً في مجال الإسكان، ويرتبط بعوامل أيولوجية، وتؤكد هذه الدراسة أن انتشار الأسرة النواة العربية له علاقة بنمو والتنظيم البيروقراطي الرسمي وسيادته في المجتمع العربي، فتمو التنظيم البيروقراطي، خصوصاً الدولة ومؤسساتها المختلفة وتركيز هذا التنظيم على الكفاءة الإنتاجية من خلال التخصص، أخذ العديد من وظائف الأسرة التقليدية، مثل: إنتاج السلع والحماية وتعليم الأطفال، وجعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصصة.

وتؤكد هذه الدراسة أن جميع الدراسات التي ربطت ظهور الأسرة النواة بالتصنيع ونمو قطاع الخدمات في المجتمع العربي لم تستطع تفسير التغيرات الحاصلة؛ لأن العديد من المجتمعات العربية لم تبدأ حركة تصنيع واسعة بعد، ومع ذلك نلاحظ منها التغير البنائي في النمط الأسري الممتد إلى النمط النووي.

فالمجتمع العربي لم يدخل بعد مرحلة تصنيع واسع، وبالتالي فإن فرضية التصنيع لا تستطيع تفسير التغيرات الحاصلة في انتشار الأسرة النواة ورأت هذه الدراسة أن نشوء وتطور التنظيم البيروقراطي في المجتمع العربي قد يكون العامل الأساسي في ظهور الأسرة وانتشارها على أنها النواة العربية.

2- دراسة ثناء صالح (2007) الموسومة ب (الأسرة والعولمة جدل وحوار)، هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على تغيرات الأدوار للأسرة العربية من خلال دور العولمة على السوق العربية؛ أي تلاشي سلطة الأب داخل الأسرة لصالح الزوجة والأبناء، نتيجة التغيرات التكنولوجية والاقتصادية وانتشارها في المجتمع، فلم يعد الأب صاحب القرار الوحيد في الأسرة، بل إن المرأة تتحمل جزءاً من المسؤولية الاقتصادية والاجتماعية، حيث تشارك المرأة الرجل في القرارات داخل الأسرة، أي أن السلطة الأبوية تلاشت، وحلت محلها علاقة تشاركية بين الزوج والزوجة.

وأثبتت الدراسات التي تم تناولها أن الأبحاث الميدانية تعدل نظريات قائمة.

وقد بدأت النظرية الاجتماعية بالتأثر بهذه النتائج الإمبريقية وغيرها التي تسير في الخط نفسه، وهذا دليل قاطع على أن الأبحاث الميدانية قادرة على تعديل نظرية قائمة وتغيير النتائج المترتبة عليها بناءً على الأدلة الإمبريقية، وبذلك يجب أن تستند النظرية إلى أدلة قادرة على أن تعطيها المصادقية، ومثال ذلك الكثير من الأبحاث التي غيرت حقائق منتشرة؛ فدراسة حطيم وكذلك ثناء وعنصر، كلها تؤكد تلاشي النظام الأبوي وتظهر التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية من تقلص سلطة الأب وزيادة تمكين المرأة، ودخول التكنولوجيا وانتشارها؛ كلها مؤشرات نحو تشاركية الرجل والمرأة بعيداً عن سلطة الرجل المطلقة في اتخاذ القرار.

وأفضل دليل على أن الأبحاث قادرة على دحض النظرية القديمة، سواء كان ذلك في الوطن العربي أو الغربي كما في الأبحاث حول أسباب انحراف الأحداث، فمعظم التوجهات العربية والأجنبية تعزو سبب الانحراف إلى التفكك الأسري كمسبب أساسي؛ لكن بعد الدلائل الإمبريقية والدراسات الميدانية تم التأكد أن معظم الأحداث المنحرفين يأتون من أسر غير مفككة؛ أي أن الأم والأب موجودان داخل الأسرة؛ أي غير مطلّقين أو منفصلين، بل يعيشان مع بعضهما، ولكن الإشكالية في طبيعية العلاقة بينهما من مشاحنات وتوترات حيث تسود علاقة مضطربة تؤثر على الأطفال داخل الأسرة، وجميع الدراسات العربية والأجنبية، ومنها دراسة رطروط وهينس و Banham أكدت أن السبب وراء انحراف الأحداث، سواء عند العرب أو الغرب هو الاضطرابات التي تسود العائلة، والتي تؤثر على أفرادها، وهناك عوامل أخرى، مثل: الفقر، وإهمال الوالدين لأبنائهم، ورفاق السوء، وغير ذلك.

وكذلك الحال في الأبحاث التي تدرس ظاهرة الانتحار، حيث تؤكد أن السبب وراء الانتحار في الدول العربية والغربية ليس الوضع الاقتصادي المتدني أو المرتفع، بل هو الشعور بالإحباط والفشل والاضطرابات النفسية التي ترافق الشخص لفترة من الزمن، وتحول دون قدرته على التكيف مع البيئة المحيطة، ومن ثم يفضل التخلص من حياته؛ كما في دراسة مديرية الشرطة لعام 2015 في الأردن حول معرفة أهم أسباب الانتحار في الأردن، فكانت النتائج أن شعور الأشخاص بالإحباط والفشل هو المبرر لانتحارهم، ودراسة كوك حول أسباب محاولة النساء للانتحار؛ فكانت النتيجة أن شعورهن بالإحباط والاضطرابات النفسية هو سبب تفكيرهن في الانتحار؛ لذا جاءت كل هذه الدراسات جاهدة لتغيير الحقائق وراء مواضيع قائمة، إذ لا بد من رد اعتقادات قديمة سائدة وإثبات حقائق قائمة، بناءً على النتائج الإمبريقية والميدانية التي تثبت صحة الاعتقادات الأنية.

## The Impact of Empirical Research on Sociological Theory

**Nadia I. Hyasat**, *Sociology and Social Service Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

### Abstract

The study aims to show the impact of empirical field research on social theories, to find a close relationship between theory and field research, and to explore how some field research modifies, supports, or deconstructs a theory. In this way, this research highlights the power of field studies to guide social theory towards addressing some gaps existing in the social theory.

The study has found significant results. Some of these significant results include: field research can produce, support, or modify an existing social theory; field research can provide theorists with new information through empirical evidence; there is a close relationship between field research and social theory as both are vital components of any research, knowledge, and scholarship. Hence, any theoretical issues should be empirically supported, enhanced by empirical evidence or statistical results, and related to field studies as such evidence and studies contribute to empowering these issues and increasing their credibility.

### الهوامش

- (1) ابن خلدون، 2013، ص ص524-525.
- (2) عثمان، 2008، ص16.
- (3) خمش، 2005، ص326.
- (4) شرابي، 2005.
- (5) حجازي، 1986 ص ص70-77.
- (6) عثمان، 2008، ص ص15-16.
- (7) تيرنر، 1978.
- (8) عثمان، 2008، ص ص16-17.
- (9) وليامز، 1970.
- (10) عثمان، 2008، ص ص46-47.

- (11) تيرنر، 1978.
- (12) بارسونز، 1951.
- (13) ريتز، 1983.
- (14) عثمان، 2004.
- (15) Alexander, 1981 p.p80.
- (16) Luhmann, 1985 p.p5-20.
- (17) mills, 2000.
- (18) Turner, 1978.
- (19) زالتين، 1989.
- (20) Mills, 2000.
- (21) دارندوف، 1959.
- (22) زايكلن، 1989.
- (23) عثمان، 2008، ص101.
- (24) البخيت، وآخرون 1997، ص243-244.
- (25) البخيت وآخرون، 1997، ص245.
- (26) جیدنز، 2005.
- (27) خمش، 2005، ص372.
- (28) Merton, 1957p.p156-171.

## المراجع العربية

- ابن خلدون (2013) مقدمة ابن خلدون - تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط 2.
- البخيت، محمد عدنان، خمش، مجد الدين وآخرون (1997). أساليب البحث والمكتبة، منشورات الجامعة الأردنية.
- بوتمر (1985)، علم الاجتماع منظور نقدي، ترجمة عادي الهواري، الإسكندرية، دار المعارف.
- جیدنز، انتوني (2005)، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.



- حطيم، علي حسين (2012)، السلطة الأبوية في الأسرة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد.
- خمش، مجد الدين (2005)، علم الاجتماع الموضوع والمنهج، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان.
- رطروط، فواز (2015)، انحراف الأحداث بين النظرية والتطبيق، تقرير وزارة التنمية الاجتماعية، عمان.
- زالتن، أرفينج (1989)، النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع (ترجمة محمود عودة إبراهيم عثمان، الكويت، ذات السلاسل.
- شرابي، هشام (2000)، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تقرير الأحوال العلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية.
- صالح، ثناء محمد (2007)، الأسرة والعولمة جدل وحوار، دراسة استطلاعية، جامعة دمشق.
- عبد الرحمن، طه (2001)، ما بعد الأخلاق انقلاب في قيم الحداثة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
- عثمان، إبراهيم (2004)، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- عثمان، ابراهيم (2008)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- علي، سعيد إسماعيل (1995)، فلسفات تربوية معاصرة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عنصر، عياشي (2008)، آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة، مجلة عالم الفكر، مجلد عالم الفكر، مجلد 3، عدد 3.
- مديرية الشرطة (2015)، الانتحار في الأردن، تقرير حول معدلات وأسباب الانتحار، عمان.
- مصطفى حجازي، (1986)، التخلف الاجتماعي: سيكولوجية الإنسان المقهور، بيروت، معهد الإنماء العربي.

## المراجع الإنجليزية

- Alexander.Jeffery (1981) Reaction –Re from The change (*Theory of parsons sociological*).
- Caok.O (2015) (*preventions suicide among older adult Asian women*) ,san Francisco.cA. American o ,CA, society on Aging.
- Darhen dorf-Ralph-(1959) class And (*class conflict of Industrial society*), Stanford univer sity press.
- Deves.metaboles (2003) (*Delinquency and criminal be haviour and delinquency*) world youth report.
- Henes.T.H. (2013) report about (*Dellinguency and criminal behaviour*) uinted states department –jurneile .
- k.m Banham (2012) *journal of crinminal law and criminology*, 531 volume 17, Article3.
- Luhman ,N. (1985) (*society meaning Rrligion*), Based on self Re ference sociological –Analysis 4.
- Mills,c. wright(2000) (*The power Elite*) oxford, university press.
- Parsons-Talcot(1968) (*The structure of social Action*) V0l. I. Nyork, The free press university press.
- Robert K. Merton (1968) (*Social Theory And Social Structure Theoretical Sociology*), New York, The Free Press, , Pp. 15: 155.
- Terner,J.(1978) (*The structure of sociological Theory*) Homewood.The Darscy press.
- Willim.Robin (1970) (*American society*) Nyork-Knopf1970.